(وقولوا للناس حسنا، واجبنا نحو غير المسلم)

الحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، المبعوث بالدين القويم والمنهج المستقيم، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين:

أما بعد إخوة الإيمان والإسلام :

الإنسان مجتمعي بطبعه يعيش مع الناس، يخالطهم في أثناء عمله وسكنه، وجميع حركاته وسكناته، والناس مختلفون في طبائعهم وتوجهاتهم وأخلاقهم، حتى في دياناتهم، وهذه سنة الله الكونية في خلقه قال تعالى (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**) [هود: 118] ، ولن يستطيع الإنسان أن يعيش بمنأى عن الناس، فهو يتكلم معهم ويترجم بلسانه عما وقر في قلبه تجاههم، وكما قيل :

إنَّ الكلامَ لفِي الفُؤادِ وإنما * جُعِل اللِّسانُ على الفؤادِ دَلِيلا

والإسلام حثنا على حسن الخلق مع الناس جميعا، بغض النظر عن عرقهم وألوانهم وأجناسهم، قال تعالى ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: 83]، وقد جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن بني إسرائيل عندما أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يعبدوه سبحانه وتعالى، وأن يحسنوا إلى الناس وأولهم الوالدين، ثم ذوي القربى واليتامى والمساكين، وهذا يدل على أن القول الحسن الطيب للناس هو مقصد من مقاصد الشرائع السماوية المنزلة على رسل الله.

القول الحسن هو خلق الأنبياء والمرسلين: ونلاحظ ذلك ظاهرا في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، حيث إن الله عزوجل وقد أرسله رسولا مبعوثا مبلغا دعوة ربه إلى فرعون وجنوده، حيث قال الله لموسى وهارون: (**اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**) [طه 43، 44] ولابد أن تكون دعوة المسلم بكلام رقيق لين قريب سهل ، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) [النحل: 125]، وهكذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم، كان لا يخرج منه إلا الحسنُ من الكلام والأفعال، فكان أحسن الناسِ خُلقًا.

القول الحسن خلق عباد الله المؤمنين: عندما تكلم الله تعالى عن عباده المؤمنين الذين أعدَّ لهم النعيم المقيم، وتفضل عليهم بالكرامات والحلل والحليّ، وصفهم بوصف عظيمٍ، فقال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ**

وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) ثم قال الله عن حالهم في الحياة الدنيا: **(وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ)** [الحج 23- 24]، فهم لم يصِلُوا إلى هذا النعيم إلا بهذا الخلق العظيم الطيب من القول، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها) فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يارسول الله ؟ قال (لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائما والناس نيام**) [رواه أحمد].

والمسلمون أتباع هذا الدين يجب عليهم أن يتصفوا بهذه الصفات من طيب الكلامِ، وحسن القولِ، وأن يكون كلامُهم مع الناس جميعًا مُسلمين وغير مسلمين بالقول الطيّب الحسن، بل القول الحسن مع غير المسلم أوجبُ علينا نحن أهل الإسلام، فالمسلم يدعو إلى الإسلام بحاله قبل مقاله، فعندما يراك غير المسلم وأنت تتكلم معه بالكلام الطيبِ.. فأنت تظهرُ له أخلاق الإسلام، ما يجعله يعجب ويطرب ويميل قلبه إلى هذا الدين العظيم.

وما دخل الإسلام إلى أصقاع الأرضِ من الأماكن النائية البعيدة إلا بحسن أخلاق أتباعه، الذين حملوا رسالة الإسلام بأخلاقهم وأماناتهم إلى أهل هذه البلاد، حتى غدت هذه البلاد تدين بالإسلام بسبب المعاملة الطيبة والأخلاق الحسنة، وبهذه الأخلاق الفاضلة وبحسن القول وطيبه كانت تميل القلوب إلى الإسلام وإلى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.

فما أحوجنا أن نتعاملَ مع الناس جميعا بهذا الوصف والقيمة النبيلة، وهو القول الطيب الحسن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت)** [البخاري ومسلم] وهكذا نتحلى بهذه الصفات ونُطيب ألسنتا ونحسن أقوالنا مع الناس أجمعين، حتى نفوزَ بالفضل والرضوان من الله ربِّ العالمين .

أسأل الله عزَّ وجل أن يهدينا سبل السلام، وأن ينعم علينا بنعمة الإحسان في العمل والقول والكلام، إنه ولي ذلك والقادر عليه , وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبها الشيخ / محمد أحمد زين خليفة ، مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى البرازيل